بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبات في العصور الإسلامية

منصور محمد سرحان

مكتبة فخراوي

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٧ م

مكتبة فخراوي

البحرين ـ المنامة هاتف: ٥٥٣١٣٣ ـ ٢٣٢٨٤٩ فاكس: ٥٥٢١٨٢ ص.ب: ١٦٤٣

إهداء

إلى

جميع المسلمين

في مشارق الأرض ومغاربها

المقدمة

منذ أن أصدرت كتابي «واقع الحركة الفكرية في البحرين ١٩٤٠ ـ ١٩٩٠» في عام ١٩٩٣ كنت أجمع مادة كتابي هذا «المكتبات في العصور الإسلامية». واخترت هذا الموضوع بالذات كمادة بحث جديدة نظراً لقلة المصادر الموثقة التي نشرت عن المكتبات في العصور الإسلامية المختلفة. ونظراً لاتساع مفهوم العصور الإسلامية فقد حددت الفترة الزمنية التي جمعت فيها مادة بحثي حتى نهاية القرن السابع الهجري، حيث جرت في هذه القرون السبعة عمليات تأسيس المكتبات على اختلاف أنواعها، كمكتبات المساجد والجوامع والمدارس والمكتبات الرئيسية التي أسسها الخلفاء العظام لتكون بمثابة مراكز ثقافية أو مكتبات عامة تنفق عليها الدولة، هذا بالإضافة إلى العديد من المكتبات الخاصة المتواجدة في منازل الأغنياء والأمراء والوزراء والأدباء وعلية القوم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرن الثالث الهجري أنجب كبار العلماء والأدباء والكتاب، كما أنجب في نفس الوقت كبار الخلفاء الذين كانت لهم نظرتهم الخاصة في رعاية العلم والعلماء. فقد برز في هذا القرن بالذات الخليفة أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد والمأمون، واحب الأخير الكتب وأجل العلماء وأفسح المجال لانبعاث الفكر الحر. وكان الناس ينظرون إلى الفلسفة نوع من الخروج على الدين، وكذلك الاشتغال بأمور الكيمياء من المحرمات باعتبارها عبث شيطاني. وعندما تولى المأمون سدة الحكم أفسح المجال للعلماء والأدباء والمهندسين والأطباء والمفكرين والفلاسفة ومنحهم الحرية التامة في كتابة ما يريدون. وأدى ذلك إلى قيام النهضة الفكرية

والثقافية في العالم الإسلامي، فازدهرت الكتابة ونمت حركة التأليف والنشر وانتشرت المعامل في منازل العلماء وارتقت الفنون مما جعل بغداد حاضرة العالم المتمدن آنذاك. وتوج المأمون حركته هذه باهتمامه ببيت الحكمة في بغداد وهي أول مكتبة رئيسية عامة تقام في أرجاء العالم الإسلامي. واقتفى أثره فيما بعد مجموعة من الخلفاء المسلمين في أمصار مختلفة من البلاد الإسلامية.

وقد حاولت أن يكون هذا الكتاب على محدودية صفحاته مرآة تعكس الأحداث والتطورات التي أدت إلى تأسيس المكتبات في العالم القديم بصورة محدودة ومقتضبة، والعالم الإسلامي بصورة شاملة ومركزة.

من أجل ذلك فقد وزعت محتويات الكتاب على ثمانية فصول، تناولت في الفصل الأول المكتبات في العالم القديم لإعطاء القارىء نبذة موجزة عن اهتمام الحضارات على اختلافها بالكتاب والمكتبات. وتحدثت في الفصل الثاني عن مرحلة التمهيد لبزوغ المكتبات الإسلامية، وقسمته إلى قسمين. تناولت في القسم الأول علوم وثقافة العرب قبل مجيء الإسلام متطرقاً إلى بعض العلوم التي كانت سائدة عند العرب مثل علم النجوم والأثر والعلاج والطب والشعر والخطابة زمن الجاهلية. أما القسم الثاني من الفصل الثاني فتناول علوم وثقافة العرب في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، متطرقاً إلى الآيات والأحاديث النبوية التي جاءت في فضل العلم وطلبه.

وخصص الفصل الثالث للمكتبات الرئيسية في العصور الإسلامية، وهي المكتبات التي تخصص لها الدولة ميزانية لشراء الكتب ومواد النسخ والكتابة كالورق والحبر إضافة إلى أثاث المكتبة والصرف على العاملين بها. وتناولت في هذا الفصل أهم المكتبات الرئيسية التي أسست في العالم الإسلامي وهي ثلاث مكتبات: مكتبة بيت الحكمة في بغداد، ومكتبة دار العلم أو دار الحكمة في القاهرة، والمكتبة المستنصرية بقرطبة مبيناً جهود الخلفاء الذين اهتموا بأمر تلك المكتبات والطرق التي اتبعوها لتزويد مكتباتهم بالكتب والمخطوطات الهامة، منهياً الفصل بالمصير المؤسف لتلك المكتبات.

وركزت في الفصل الرابع على المكتبات الخاصة ومكتبات المساجد

والمدارس، وتعرضت فيه إلى أهم المكتبات التي تكونت لدى بعض الأفراد أو الشخصيات الهامة وكيفية اقتنائهم للكتب، حيث سيجد القارىء أنه لا فرق بين فيلسوف أو أديب أو عالم دين في حبه وجمعه للكتب، وهذه ميزة لم تكن موجودة في المجتمعات السابقة للمجتمع الإسلامي.

وخصصت الفصل الخامس لازدهار وتنوع حركة التأليف في العصور الإسلامية. واحتوى الفصل على أهم الكتب التي ألفت وكان لها أثرها الكبير في مجرى الحياة الفكرية والثقافية آنذاك، مقسماً تلك المؤلفات وفق مجالات محددة هي: السيرة النبوية، واللغة، والأدب، والفلسفة، والطب، والصيدلة، وعلم الاجتماع، وعلم الفلك والنجوم، والرياضيات، والكيمياء، والببليوغرافيا، والتراجم، والتاريخ، والجغرافيا.

وتناولت في الفصل السادس حركة الوراقة وأثرها في نمو المكتبات الإسلامية، مبيناً الوظائف التي يقوم بها الوراق وازدهار هذه الحركة بعد توصل العرب إلى صناعة الورق سنة ٧١٢ م. كما تم التطرق إلى ذكر أدوات الوراقين ودكاكينهم وأسواقهم والمشاهير منهم.

وفي الفصل السابع تناولت موضوع الحكم والنوادر والطرائف الخاصة بالعلم والكتاب، حيث تم ذكر بعض الآيات الواردة في القرآن الكريم في فضل العلم وما جاء في الآيات الكريمة عن الكتاب، وأقوال الرسول عليه عليه الصلاة والسلام والصحابة في فضل العلم وطلبه. كما تضمن هذا الفصل ما قيل في العلم والكتاب من الشعر متطرقاً إلى الإعارة والحبر والقلم والخط. كما تضمن الفصل العديد من الطرف والنوادر الخاصة بالعلم والكتاب والتي وقعت ضمن الفترة المحددة وهي بنهاية القرن السابع الهجري.

وخصت الفصل الأخير من الكتاب لصور صفحات من بعض المخطوطات القرآنية التي كتبت في الفترة من القرن الأول وحتى القرن السابع الهجري والتي لا تزال موجودة بصورتها الأصلية وذلك من أجل إعطاء القارىء صورة واضحة عن نوعية الكتابة والخط ونوع الورق والزخرفة المستخدمة حينذاك.

ولإبراز أهمية هذا الكتاب باعتباره مصدراً يمكن الاستفادة منه، فقد اعتمدت على الكثير من كتب التراث الإسلامي وعلى العديد من الكتب التي تناولت الكتاب والعلم والمكتبات سواء كانت لمؤلفين قدامى أم معاصرين. وحاولت قدر الإمكان ذكر السنة التي توفي فيها الكاتب، وتاريخ إصدار الكتاب، وتاريخ تأسيس المكتبات بمختلف أنواعها من أجل تبصير القارىء بالفترة التي وقع فيها الحدث.

ولا يسعني في هذه العجالة إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأخ الدكتور عبد اللطيف كانو مؤسس بيت القرآن الذي قدم لي الدعم والمساندة بتزويد كتابي هذا بصور من المخطوطات القرآنية المتوافرة ببيت القرآن.

منصور سرحان

يناير ١٩٩٧

البحرين

الفصل الأول

مكتبات العالم القديم

اهتمت الحضارات القديمة والحديثة على السواء بتأسيس المكتبات نظراً لما لها من دور فاعل في تطوير المجتمعات وخلق الرفاهية والازدهار والمحافظة على النتاج الثقافي المحلي، وما توصلت إليه البشرية من نتاجات مختلفة في أوجه الفكر والأدب.

واقترن وجود المكتبات منذ بزوغ فجر التاريخ بظهور الكتابة وتطورها. ولم يكن التوصل إلى معرفة الحروف وصياغتها في كلمات وصبها في جمل من عمل فرد معين بذاته، وإنما حدث ذلك من خلال فترات زمنية مختلفة، بذل الكثير من أبناء البشرية جهوداً مضنية حتى استطاعوا التوصل إلى الأبجديات التي ساهمت بدورها في تطوير حركة الكتابة والتأليف ومن ثم تأسيس المكتبات لحفظ الوثائق والمخطوطات والكتب فيما بعد وتقديمها لطلبة العلم والمعرفة.

بدأت المحاولات الأولى للكتابة على شكل صور ورسوم منقوشة فوق جدران الكهوف التي سكنها الإنسان، وعلى الحصى وقطع الصخور مسجلاً مشاعره وأفكاره ومعبراً عما يحدث له في محيط بيئته عن طريق مشاهد من حياته اليومية. ويشير روجرز فرانسيس في كتابه «قصة الكتابة والطباعة من الصخرة المنقوشة إلى الصفحة المطبوعة» إلى وجود رسامين موهوبين استطاعوا منذ آلاف السنين أن يرسموا صوراً جميلة لجوانب من مجتمعاتهم ومحيط بيئتهم. ومن أشهر النقوش التي لا زالت باقية مجموعة من الحصباء عمرها أكثر من عشرة آلاف سنة وجدت مدفونة في كهف مادازيل في جنوب فرنسا.

وتوصل السومريون إلى الكتابة على الألواح الطينية منذ خمسة آلاف سنة، حيث كانت تتم الكتابة على تلك الألواح عن طريق إحداث خدوش على سطحها وهو رطب، ثم تترك لتجف مستخدمين أقلاماً صلبة ذات نهايات مدببة مثل شظايا العظم أو مسامير النحاس، والأخيرة كانت أكثر استخداماً نظراً لسهولة الحصول عليها مما أدى إلى إطلاق تسمية الخط المسماري على هذا النمط من الكتابة. وبتوصل السومريون إلى هذا النوع من الكتابة بدأ النتاج الأدبي والفكري يزداد بشكل متواصل، مما دعى إلى توفير مكان معين لحفظ ذلك النتاج والرجوع إليه حين الحاجة، وبذلك تم الاتجاه إلى تأسيس المكتبات في العالم القديم.

مكتبات وادي الرافدين

يجد المتتبع لتاريخ المكتبات في وادي الرافدين مدى اهتمام الحضارات القديمة التي تعاقبت على بلاد ما بين النهرين بتأسيس المكتبات والتي عي عبارة عن مخازن ضخمة تجمع فيها الرقم الطينية وبعض الحصى والصخور المنقوش أو المكتوب عليها. وساهمت حضارة وادي الرافدين في تطور الحياة البشرية من خلال بناء وتأسيس العديد من المكتبات المتنوعة والمختلفة والتي يمكن ذكر أهمها فيما يلي:

مكتبة لكش:

من بين المكتبات القديمة التي تم اكتشافها في العراق مكتبة مدينة لكش (٣٢٠٠ ـ ٢٧٥٠) ق.م، وهي من أقدم مكتبات وادي الرافدين. وقد وجد فيها مئات الرقم الطينية وكانت منظمة في مبنى المكتبة ضمن صفين. كما وجدت في المعبد الذي كان يضم المكتبة أكثر من حجرة مليئة بالرقم من أحجام مختلفة، بعضها كان مكدساً، والبعض الآخر كان منظماً فوق رفوف خصصت له. أما الألواح الصغيرة فكانت محفوظة داخل قوارير ضخمة[١].

(١) عبد اللطيف الصوفي. لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات. ص ١٣٦.

مكتبة نيبور:

يعود تاريخ تأسيس مكتبة نيبور التي تقع جنوبي مدينة بابل إلى الألف الثالث قبل الميلاد. فقد حوت المكتبة عدة آلاف من الألواح والرقم الطينية تشمل مواضيع مختلفة كالأدب والطب والحساب والتنجيم والنصوص القانونية والتجارية وغيرها من الموضوعات المعروفة آنذاك. ونظمت محتويات المكتبة عن طريق وضع السجلات والوثائق على رفوف بمبنى المكتبة، أما الألواح الطينية فقد تم وضعها في جرار كبيرة ورتبت وفق مواضيعها، وفي بعض الأحيان وفق أحجامها.

ويؤكد الخبير الأمريكي س.ن. كرامر الذي اهتم بآثار العراق وركز بصورة خاصة على تاريخ وثقافة السومريين، أنه اكتشف أحد النصوص المدونة على رقم طيني عبارة عن فهرس لإحدى المكتبات بمدينة نيبور التي تمثل المركز الثقافي والديني للسومريين. ويعود تاريخ ذلك الفهرس إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م. وهو محفوظ حالياً في المتحف الجامعي في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد وجد على الوجه الأمامي والخلفي لهذا الرقم الطيني سجلاً لاثنين وستين كتاباً تتناول مواضيع مختلفة، وتنتمي الكتب الأخيرة المسجلة وعددها ثلاثة عشر كتاباً إلى مجموعة الحكمة. كما عثر كرامر على رقم طيني آخر موجود الآن في متحف اللوفر بباريس يحمل بعض عناوين الكتب التي دونت في الرقم المحفوظ في المتحف الجامعي في فيلادلفيا. غير أن هذا الرقم امتاز أيضاً بوجود عناوين جديدة لكتب أخرى. وبلغ عدد العناوين المسجلة على وجهي هذا الرقم ٨٧ عنواناً.

ويعتبر السومريون من الأمم الراقية المثقفة، فهم الذين خصوا الكتاب بالدور الذي ارتبط به حتى هذه الأيام باعتباره الحافظ لجميع الإنجازات الإنسانية في مجال الثقافة وأمور التعليم.

مكتبة نينوى:

تعتبر مكتبة نينوى أهم مكتبة عرفها العالم القديم، ويعود الفضل في شهرتها إلى الملك آشور بانيبال ٦٦٨ ـ ٦٢٦ ق.م. الذي تمتع بثقافة واسعة وحب للعلم والمعرفة، مما جعل عصره عصر ازدهار ثقافي وأدبي خاصة وأنه

أمر بجمع آداب بابل وآشور. ويذكر دال سفند أن الملك آشور بانيبال أمر بأن يوضع في مكتبة نينوى نسخة مبوبة من النصوص المستقاة من كافة محفوظات المدن والمعابد، وعين عدداً من النساخ لإتمام هذا العمل. كما يذكر الدكتور عبد اللطيف الصوفي في كتابه «لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات» أن الملك آشور بانيبال اهتم بتنظيم مكتبة نينوى اهتماماً عظيماً فعين عدداً من المختصين للمكتبة، فقاموا بترتيب الألواح الطينية تبعاً لموضوعاتها بعد ختمها بخاتم خاص يبين موضعها داخل المجموعة. كما جعلت لها فهارس تسهل الرجوع إلى مقتنياتها من وثائق ورسائل ونصوص دينية وتاريخية[1].

تم اكتشاف مكتبة نينوى في بداية التنقيبات الأثرية في العراق، حيث اكتشف الدبلوماسي الإنكليزي الشاب أ.هـ. لايرد بقايا مدينة نينوى العاصمة الآشورية بالقرب من الموصل وذلك خلال الفترة من ١٨٤٥ إلى ١٨٥١ م. وفي عام ١٨٥٠ اكتشف لايرد البلاط الملكي للملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١) ق.م. ووجد فيه ما أطلق عليه غرفة السجلات. غير أن المثير في الأمر أن هـ. راسم تابع العمل بعد لايرد على فترتين الأولى من ١٨٥٢ إلى ١٨٥٤ م والثانية من ١٨٧٧ إلى ١٨٨١ م واكتشف بقايا مقر الملك آشور بانيبال ومكتبته الضخمة التي ضمت أكثر من عشرين ألف رقم طيني، حيث نقلت إلى المتحق البريطاني في لندن.

اهتم الملك آشور بانيبال كما تم ذكره سلفاً بنسخ كل الرقم القديمة التي يعثر عليها في أرجاء مملكته أو أن يتم نقلها إلى مكتبته. وفي إحدى رسائله إلى أحد المسؤولين في بابل نجده يأمره بالتالي:

«ابحثوا عن الرقم القيمة التي لا يوجد منها نسخ في بلاد آشور وأرسلوها لي. لقد كتبت الآن إلى رئيس الهيكل ومحافظ المدينة في بورسيبا عنك، وعليك الآن يا شادان أن تحفظ الرقم في مقرك بحيث لا يجرأ أحد على أن يسرق منها شيئاً. وحيثما تجد أي رقم أو أي نص شعائري يمكن أن يناسب قصري فخذه وأرسل إلى هنا»[2].

---

(١) عبد اللطيف الصوفي. لمحات من تاريخ الكتاب والمكتبات. ص ١٤٠.

(٢) الكسندر ستيبتشفيتش. تاريخ الكتاب. ج ١. ص ٢٥.

مكتبات مصر القديمة

تشير السجلات التاريخية إلى أن أول مكتبة أسست بمصر القديمة هي تلك التي أسست في غزة عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد. وازدهرت المكتبات بشكل رئيسي في عهد رمسيس الثاني الذي بنى مكتبة في عام ١٢٥٠ ق.م.[١]. واعتباراً من عهد رمسيس الثاني أخذت المكتبات في الانتشار وأخذ الملوك في تأسيس مكتبات لهم في قصورهم.

ومما زاد من حركة تأسيس المكتبات في مصر القديمة توصلهم إلى الخط الهيروغليفي في عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد. وبانتشار الكتابة المصرية برزت في مصر المكتبات الخاصة، وحاول النبلاء والأغنياء تقليد الملوك في تأسيس مكتباتهم الخاصة في قصورهم مما عجل بانتشار المكتبات الخاصة بين المواطنين المصريين وأصبحت ظاهرة مميزة للمجتمع المصري.

المكتبات القديمة في سورية

مكتبة إيبلا:

تقع مدينة إيبلا القديمة في جنوب غرب مدينة حلب بسورية. وقد كشف خبراء الآثار من جامعة روما في عام ١٩٧٤ مكتبة في حالة جيدة. وتم اكتشاف بقايا القصر الملكي هناك وكان يحتوي على قسمين خاصين بالكتب، حيث أخرج علماء الآثار قرابة ١٧ ألف رقم طيني مدونة بالحروف المسمارية ولكن باللغة المحلية وهي اللغة الإيبلية.

وتؤكد أعمال الحفر أن القصر الذي كان يضم المكتبة قد تهدم سنة ٢٢٥٠ قبل الميلاد بسبب حريق شب فيه خلال هجوم الملك الأكادي نارام سين. وأدى هذا الحريق إلى تهشم الرفوف الخشبية التي صفت عليها الرقم الطينية مما أدى إلى تساقط الرقم الطينية بعضها فوق بعض، وبهذا أمكن التعرف على كيفية صف وتنظيم الرقم في المكتبة وعلى رفوفها. فقد تبين أن الرقم كانت مرتبة الواحدة تلو الأخرى لدرجة أنه بالإمكان النظر إليها

---

(١) منصور محمد سرحان. الكتاب والمكتبات. ص ١٢.

وقراءتها كما يقرأ المتردد على المكتبات في هذه الآيام بطاقات الفهرسة.

احتوت الرقم الطينية بالمكتبة على نصوص أدبية وتاريخية وإدارية وقانونية وتجارية، كما احتوت المكتبة على المعاجم الإيبلية السومرية ووضعت على رفوف خاصة بها. كما وضعت بقية الرقم على رفوف خاصة بها وفق مواضيعها.

المكتبات في أوغاريت

تقع مدينة أوغاريت في رأس شمرا بالقرب من اللاذقية على الساحل السوري. ويرجع الفضل في اكتشاف الرقم الطينية في هذه المدينة إلى رئيس بعثة التنقيب الفرنسية ك. شافير الذي بدأ عمليات الحفر في رأس شمرا منذ عام١٩٣٩ م. وعثرت البعثة على رقم طينية نقشت عليها الحروف المسمارية للغة مجهولة حتى ذلك الحين ـ اللغة الأوغاريتية. واتضح أن مضمون تلك الرقم يتعلق بإعادة ترتيب الحوادث التاريخية في النصف الثاني للألف الثانية قبل الميلاد[١]، وهو الوقت الذي كانت فيه أوغاريت تعايش أعظم ازدهار اقتصادي وثقافي.

وتم في عام ١٩٢٩ م اكتشاف مكتبة وورشة للكتابة في مقر سكن رئيس الكهنة في مدينة أوغاريت. وحوت هذه المكتبة كتب دينية، وثقافية، وأدبية، ومعاجم. كما عثر على العديد من المكتبات الخاصة بالمدينة، غير أنه حتى الآن لم يتم اكتشاف المكتبة الرئيسية بمدينة أوغاريت.

المكتبات القديمة في فارس

كانت المكتبات معروفة في فارس القديمة، ومنها انتشرت إلى بقاع أخرى من العالم القديم. وحرص ملوك الفرس على الاهتمام بالمكتبات من حيث المبنى وكيفية الاحتفاظ بمقتنيات المكتبة سليمة على مدار الزمان. وفي هذا الصدد يذكر ابن النديم في الفهرست «أن ملوك الفرس بلغ من عنايتهم بصيانة العلوم وحرصهم على بقائها على وجه الدهر، وإشفاقهم عليها من أحداث الجو وآفات الأرض، أن اختاروا لها من المكاتب أصبرها على

(١) الكسندر ستيتشفيتش. تاريخ الكتاب. ج ١. ص ٢١.

الأحداث، وأبقاها على الدهر، وأبعدها عن التعفن والدروس، لحاء شجر الخدنك، ولحاؤه يسمى التوز. وبهم اقتدى أهل الهند والصين ومن يليهم من الأمم في ذلك، واختارها أيضاً لقسيهم التي يرمون عنها لصلابتها وملاستها وبقائها على القسي غابر الأيام»[1].

وتبرهن المصادر التاريخية على أن ملوك فارس كانت لهم اهتمامات شديدة بالمحافظة على العلوم واقتناء الكتب. وفي هذا المجال يذكر ابن النديم في فهرسته أيضاً. أنه عندما خرج الإسكندر ملك اليونانيين، غازياً أرض فارس وقتل دارا بن دارا الملك واستولى على ملكه، قام بتهديم المدن وأهلك ما كان في صنوف البناء من أنواع العلم الذي كان منقوشاً أو مكتوباً في صخور ذلك البناء أو خشبه. كما أمر الإسكندر بنسخ ما كان مجموعاً من المؤلفات التي وجدت في الدواوين والخزائن بمدينة اصطخر، ثم أحرق بعد فراغه من نسخ حاجته منها ما كان مكتوباً بالفارسية. كما أخذ الإسكندر كل ما كان يحتاج إليه من علم النجوم أو الطب والطبائع وبعث بتلك الكتب إلى مصر.

وقد خسرت البلاد الفارسية مخزونها من الكتب وحتى من العلماء بعد غزو الإسكندر لها. وبقيت ردحاً من الزمن تكابد ما سببه الإسكندر لها من نقص في العلوم والكتب، إلى أن تولى أمر الدولة الفارسية أردشير بن بابك من نسل ساسان، فبعث إلى بلاد الهند والصين لجلب الكتب التي كان الفرس في السابق قد تركوها هناك، أو تلك التي كانت ملوك فارس نسختها على عهد نبيهم زرادشت، فأمر بنسخ الكتب التي تقع في أيديهم. كما تتبع بقايا يسيرة من الكتب بقيت بالعراق فجمع منها ما كان متفرقاً.

وأبدى سابور بن أردشير نفس الحماس الذي كان يتميز به والده في المحافظة على جمع الكتب، حتى نسخت أعداد كبيرة بالفارسية، وتم بهذا تعويض ما دمره الإسكندر. وكان لكسرى أنو شروان اهتماماته الكبيرة أيضاً بجمع الكتب في مختلف العلوم، إلا أنه اهتم بالكواكب والبروج أكثر من غيره من ملوك فارس.

ومن الجدير ذكره أن ملوك فارس طلبوا من المهندسين آنذاك أن يجوبوا جميع أرجاء فارس لمعرفة أي الأقاليم أصحها تربة وأقلها عفونة

---

(١) ابن النديم. الفهرست. ص ٥٠١.

وأبعدها من الزلازل والخسوف، وأبقاها على مر الأيام والسنين. واختاروا بعد تجوالهم في جميع أقاليم فارس إقليم أصفهان وبنيت المكتبة في موضع يسمى سارويه من مدينة جي من إقليم أصفهان، وتم إيداع الكتب والمصادر الهامة فيها وبقيت كذلك ردحاً من الزمن.

وبمرور الأيام والسنين أهملت المكتبة ولم يعرف الناس عنها شيئاً، وأصبحت وكأنها جزء من مبنى تاريخي. وبعد أن تهدمت ناحية من مبنى المكتبة انكشف سر المبنى، حيث تم العثور على مجموعات من الكتب من بينها كتب الأوائل مكتوبة في لحاء التوز وبها علوم الأوائل بالكتابة الفارسية القديمة، كما عثر على كتب لبعض ملوك الفرس المتقدمين. وتم العثور أيضاً على كتاب منسوب إلى بعض الحكماء الأقدمين حول الكواكب وحركتها.

ويقال أن أبا الفضل بن العميد استطاع الحصول على بعض كتب هذه المكتبة بعد أن تهدمت سنة ٣٥٠ هجرية. ويؤكد ابن النديم في فهرسته ذلك بقوله: «خبرني الثقة أنه انهار في سنة خمسين وثلاثمائة من سني الهجرة أزج أخر، لم يعرف مكانه لأنه قدر في سطحه أنه مصمت إلى أن انهار. وانكشف عن هذه الكتب الكثيرة التي لا يهتدي أحد إلى قراءتها والذي رأيت أنا بالمشاهدة أن أبا الفضل بن العميد أنفد إلى هاهنا في سنة نيف وأربعين كتباً متقطعة، أصيبت بأصفهان في سورة المدينة في صناديق، وكانت باليونانية، فاستخرجها أهل هذا الشأن مثل يوحنا وغيره».

المكتبات القديمة في تركيا

المكتبة الحيثية في هاتاشوش:

أسس الحيثيون مكتبة لهم في عاصمتهم حتوساس وهي مدينة تقع في بوغازكوي شرق أنقرة في تركيا. وتشير أعمال الحفر التي بدأت منذ عام ١٩٠٦ إلى اكتشاف آلاف الرقم الطينية التي احتوت على كتابات حيثية بالحروف المسمارية البابلية والتي يرجع تاريخ كتابتها إلى القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد. ومن بين النصوص التي تضمنتها الرقم الطينية نصوص إدارية ودبلوماسية وتاريخية وأدبية.

وكانت المكتبة منظمة تنظيماً جيدًا بحيث تساعد المراجع في الحصول على مادته التي يطلبها، وأصبح العاملون بالمكتبة على دراية بكيفية التوصل إلى الرقم المطلوب من بين آلاف الرقم الطينية المتوافرة بالمكتبة. فقد وجدت في نهاية الرقم الطينية بمكتبة هاتاشوش معلومات تتعلق بالعنوان وبصورة خاصة مضمون النص. ففي حالة وجود تكملة لنص ما فإن الرقم في هذه الحالة تُرَقّم، بحيث يبدأ الرقم الطيني الذي يحمل تكملة الرقم الأول بالجملة الأخيرة الواردة في الرقم السابق.

ومن أجل معرفة مكان كل رقم طيني فقد استطاع العاملون بالمكتبة من وضع فهرس للمكتبة. وبهذا نجد أوجه تشابه بين أنظمة بعض المكتبات القديمة لمكتبة نيبور ومكتبة إيبلا والمكتبة الحيثية هذه وذلك نتيجة للاتصال بين تلك الحضارات والمدن من الناحية التجارية.

المكتبات في اليونان:

أخذ العلم ينتشر بين أفراد المجتمع اليوناني بشكل لم يسبقه مثيل بين الشعوب الأخرى في العالم، مما أدى إلى وجود حركة علمية وأدبية وفلسفية على درجة كبيرة من الأهمية. وأخذ الناس يتجادلون فيما بينهم في أمور الأدب والتاريخ والعلوم والرياضيات والسياسة والفلسفة وغير ذلك من صنوف المعرفة المعروفة آنذاك.

ونتيجة لوجود علماء وفلاسفة كبار في اليونان، فقد وجدت ظاهرة انتشار المكتبات الخاصة في المنازل. ففي القرن الخامس قبل الميلاد انتشرت تلك الظاهرة وأصبح البعض مثل أرسطو وأفلاطون وغيرهما يملكون مكتبات ضخمة خاصة بهم.

أما في اليونان الهلنستية فقد وجدت بها المكتبات الملكية والحكومية مثل مكتبة الإسكندرية التي ضمت الكثير من المخطوطات الإغريقية والفارسية والعبرانية والهندية[1]. ويرجع الفضل في تأسيس مكتبة الإسكندرية إلى

(١) منصور محمد سرحان. الكتاب والمكتبات. ص ١٣.